فى أهمية الدراسة وإجراءاتها المنهجية

مقدمة:

طرأت على المجتمع المصري، منذ منتصف السبعينيات، مجموعة من التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، حدثت هذه التحولات نتيجة لتفاعل عوامل داخلية وخارجية. وكان من أهم هذه العوامل الأخذ بسياسة الانفتاح الاقتصادى التى أطلقت حرية الاستثمار الخاص – المحلى والأجنبي – وأصدرت فى هذا الصدد مجموعة من التشريعات أثرت فى الإنتاج الصناعى والزراعى.

ويهم الإشارة هنا إلى أن هذه التغيرات ارتبطت بالهجرة إلى الدول النفطية، فأحدث كل هذا تغيرات فى الحراك المهنى والداخلى، و التى انعكست على أوضاع الطبقات والشرائح الاجتماعية، حيث تحولت أعداد من الاجراء إلى ملاك وتنوعت مصادر الدخل المختلفة لبعض أعضاء المجتمع، وتغيرت المواقع الطبقية للمهاجرين إلىحائزين،وتحول بعض المعدمين إلى أصحاب عمل، ودخلت بعض الشرائح فى مجالات شراء الأرض الزراعية أو إقامة مشروعات إستثمارية، كما انحسرت فرص بعض الموظفين ذو الدخل الثابت، أحدث هذا حراكاً سريعاً، صاعداً وهابطاً جعل البنية الطبقية توسم بسرعة التغير والتداخل بين المواقع الطبقية داخلها، وان مثل هذه الملاحظات وغيرها تفرض على الباحث فى علم الاجتماع ضرورة الاهتمام بدراسة الاوضاع المتغيرة للبنية الطبقية لأن هذه البنية ذات تأثيرفى مسارات التنمية بإعتبارها اختيارا واعيا للقوى الإجتماعية والسياسية، ذلك الوعى الذى يتحدد بخصائص المواقع الطبقية ولذلك تعتبر دراسة الشرائح البينية الطبقية أحد مفاتيح فهم البنية الطبقية وملامح الوعى الطبقى. وقد ركزنا دراستنا على القرية المصرية بإعتبارها قطاعا هاما فىالإنتاج والتنمية .

وقد حاول الباحث أن يفيد من مفاهيم وقضايا الإتجاه النقدى المعاصر فى علم الإجتماع بمعناه الواسع وفى القلب منه (الماركسية الجديدة) بإعتباره إتجاها يوسم بالدقة والشمول ويعبر عن طابع علم الإجتماع، فضلا عن تركيزه على تاريخ الظواهر والعمليات البنائية من تغير وتطور ديناميات داخلية فى إطار فهم البنية الإجتماعية ككلية إجتماعية S.Totality

وفى ضوء هذا الإتجاه النظرى، وما تذخر به دراسات البنية الطبقية فى الريف المصرى تم صياغة مجموعة من المفاهيم وهى:

١– نمط الإنتاج ٢ – الطبقة الإجتماعية ٣– البنية الطبقية

٤ – الشرائح البينية ٥ – الموقع الطبقى المتناقض ٦ – الموقع الطبقى المختلط

٧ – البورجوازى الصغير ٨ – الموظف ٩ – العامل

١٠ - الوجود الإجتماعى ١١- الوعى الإجتماعى .

واذا كانت الرسالة قد حاولت إستطلاع تحولات الشرائح البينية الطبقية داخل البنية الطبقية، وتفسير هذه التحولات ولإنجاز هذا الهدف أمكن صياغة التساؤلات التالية: -

١- ما التحولات التى طرأت على البنية الطبقية فى الريف المصرى عشية ١٩٥٢ حتى الآن ؟

٢- ما تحولات الشرائح البينية الطبقية فىالريف المصرى عشية١٩٥٢ حتى الآن ؟

٣- ما محددات تحول الشرائح البينية فى السياق المعاصر ؟

٤- ما ملامح الوجود الإجتماعى للشرائح البينية الطبقية فى القرية المصرية ؟

٥- ما ملامح الوعى الإجتماعى للشرائح البينية الطبقية فى القرية المصرية ؟

ويقتضى منطق الإجابة على هذه التساؤلات السابقة بأن يتم تصميم الإجراءات المنهجية لتشمل: -

١- دراسة تاريخية تحليلية بهدف فهم وتفسيرأهم التغيرات التى طرأت على البنية الطبقية بصفة عامة، مع التركيز على دراسة التحولات التى طرأت على الشرائح البينية بصفة خاصة، مع رصد السياسات الزراعية فى المراحل المختلفة وانعكاسها على البنية الطبقية. وتحولات الشرائح البينية. وقد قُسمت الدراسة التاريخية إلى ثلاث مراحل هي:

مرحلة ما قبل ١٩٥٢، ومرحلة ١٩٥٢ - ١٩٧٠، ثم مرحلة السبعينيات حتى الآن. وقد أتاح هذا التحقيب التاريخي تحليلا مقارناً بين الأبنية الاجتماعية المختلفة وتحولات البنية الطبقية والشرائح البينية، فى ضوء ما طرأ من تطور على البنية الاجتماعية فى كل مرحلة تاريخية .

٢- دراسة ميدانية تتيح للباحث نظرة معاصرة لفهم وتفسير تحولات الشرائح البينية ومحددات هذه التحولات، وأيضاً فهم ملامح الوجود الاجتماعى والوعى الاجتماعى لهذه الشرائح ولقد استمد الباحث مادته الميدانية من مصدرين: الأول اعتمد فيه على دراسة حالة الشرائح البينية ، ودراسة التاريخ الشفاهى للقرية، وحصر شامل لارباب الاسر بقرية الدراسة. اما المصدر الثانى فقد تمثل فى بعض المصادر الرسمية، كالسجلات والبيانات الاحصائية والدراسات السابقة. ولهذا كان من المنطقى ان يستخدم الباحث دليلين لدراسة الحالة دليل لدراسة الشرائح البينية، والآخر لدراسة التاريخ الشفاهى. أحتوى الدليل الأول على قسمين أساسيين: يعكس القسم الأول الوجود الاجتماعى للشرائح البينية الطبقية ويشتمل على البنود التالية: (التاريخ الاجتماعى للحالة، خصائص الحالة: المهنة الاولى، الثانية، الملكية والحيازة، ومصادرها، والهجرة والمسكن، ونمط التغذية، الصحة، التعليم) .

اما القسم الثانى فيختص بالوعى الاجتماعى للشرائح البينية الطبقية ويحتوى على البنود التالية: (الوعى السياسى، الوعى بالمشاركة، رؤية المبحوث لبعض القضايا، الانتماءات العائلية)اما دليل التاريخ الشفاهى لقرية الدراسة فقد اشتمل على البنود التالية: (تاريخ الملكية، الهجرة الى البلاد العربية، ادوات الانتاج، الثروة الحيوانية، الثروة الداجنة، الطبقات)وتم تطبيقه على خمسة اخباريين .

قد استعان الباحث باستمارة رفع للاسرة المعشية بقرية الدراسة اشتملت على تسعة عشر سؤالاً بالاضافة الى صحيفة لتسجيل خطاب الحياة اليومية للشرائح البينية.

اما عن عينة الدراسة فقد اجرى الباحث حصرا شاملا لقرية الدراسة بلغ عدد أرباب الاسر ١٠٨٠ رب أسرة، وبلغ عدد الشرائح البينية ٤٥٦ رب أسرة، تم اختيار ٢١ حالة لدراستها دراسة متعمقة، وتحدد عدد حجم كل شريحة حسب حجمها داخل العدد الكلى للشرائح البينية .

ويقتضى منطق تصميم هذه الدراسة أن تعرض النتائج التى توصلت إليها على مستويات أربعة: الأول: يتعلق بالمجتمع المصرى ككل، ويختص المستوى الثانى بالريف المصرى، ويختص المستوى الثالث بالشرائح البينية بقرية الدراسة، أما المستوى الرابع فينصب على عينة الدراسة .

ولقد تم تقسيم الرسالة إلى ستة فصول ومقدمة وخاتمة، خصص الفصل الأول للصياغة النظرية والمنهجية للدراسة، حيث تناول التحليلات النظرية الحديثةوالمعاصرة فى دراسة البنية الطبقية والشرائح البينية الطبقية، وخلص إلى تنميط للبنية الطبقية على مستوى المجتمعات المتقدمة، ثم على مستوى المجتمع المصرى أما الجزء الثانى لهذا الفصل فعرض لمفاهيم الدراسة النظرية والإجرائية. وعرض الجزء الثالث للصياغة المنهجية التى تضمنت التساؤلات الأساسية للدراسة، وأجراءات الدراسة الميدانية .

وعنى الفصل الثانى بالاجابة على التساؤل الأول: حول تحولات البنية الطبقية فى الريف المصرى عشية ١٩٥٢ حتى الآن .

وتضمن تحليلاً للتغيرات التى طرأت على البنية الطبقية منذ نهاية القرن ١٩ حتى ثورة يوليو ١٩٥٢، ثم فى ظل سيطرة رأسمالية الدولة منذ هذا التاريخ الأخير حتى أول السبعينيات، وأخيراً فى مرحلة أنطلاق الرأسمالية الخاصة بكل صورها فى أول السبعينيات حتى زمن إجراء الدراسة. كما تضمن هذا الفصل البنية الطبقية ونمط الانتاج على مستوى قرية الدراسة. وتتميط للبنية الطبقية بقرية الدراسة يوضح الشرائح البينية داخله .

وركز الفصل الثالث على الاجابة على التساؤل الثانى حول تحولات الشرائح البينية الطبقية فى الريف المصرى. تحليل سوسيوتاريخى منذ عشية ١٩٥٢ حتى الآن.

حيث عرض لتحولات هذه الشرائح قبل ١٩٥٢ فى ظل ثورة يوليو، ثم تحولاتها فى ظل التحولات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية فى السبعينيات، ثم عرض لملامح هذه الشرائح على مستوى قرية الدراسة.

وجاء الفصل الرابع ليجيب على التساؤل الثالث حول محددات تحولات الشرائح البينية الطبقية فى السياق المعاصر، حيث عرض لسياسات الانفتاح الاقتصادى والتكيف الهيكلى والهجرة فى علاقتها بتحولات الشرائح البينية على مستوى الريف المصرى وقرية الدراسة.

وتضمن الفصل الخامس الاجابة على التساؤل الرابع حول ملامح الوجود الاجتماعى للشرائح البينية الطبقية من الملكية والحيازة ، وطبيعة الازدواج المهنى لهم، وتوزيع الدخل والوقت فى أطار تعدد الانشطة، ثم تضمن الجزء الثانى منه شروط إعادة انتاج الوجود الاجتماعى للشرائح البينية حيث عرض مدى اشباع الحاجات الاساسية لهم فى التعليم والتغذية والصحة على مستوى الريف المصرى وقرية الدراسة وعينة الدراسة .

وعنى الفصل السادس للاجابة على التساؤل الخامس حول ملامح الوعى الاجتماعى للشرائح البينية الطبقية حيث عرض لمفهوم الوعى وأنماطه ومحدداته ومستوياته، ومصادر وأساليب تشكيل الوعى ثم تضمن الجزء الثانى الوعى السياسى للشرائح البينية، الوعى بالمشاركة، والانتماءات العائلية والطبقية، ورؤية المبحوثين لبعض القضايا ثم خطاب الحياة اليومية للشرائح البينية وذلك على مستوى قرية الدراسة.

وتناولت الخاتمة أهم النتائج التى توصلت إليها الدراسة بهدف التعرف على مدى أتساق هذه النتائج مع الإطار النظرى الذى اختاره الباحث، ومعرفة مدى التقاء أو تباعد هذه النتائج من نتائج الدراسات السابقة.